الكرسي الرسولي

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامة

تعليم

في الرذائل والفضائل

17. الإيمان

الأربعاء 1 أيّار/مايو 2024

ساحة القدّيس بطرس

[Multimedia]

يتضمّن النّصّ التّالي أيضًا فقرات لم تُقرأ، والتي نقدّمها كما لو أنّها قُرأت.

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

أودّ اليوم أن أتكلّم على فضيلة الإيمان. تُسمّى هذه الفضيلة، مع فضيلَتَي المحبّة والرّجاء، بالفضائل "الإلهيّة". الفضائل الإلهيّة ثلاث وهي: الإيمان والرّجاء والمحبّة. لماذا هي إلهيّة؟ لأنّه لا يمكن أن نعيشها إلاّ بعطيّة من الله. الفضائل الإلهيّة الثّلاث هي العطايا الكبرى التي يمنحها الله لقدرتنا الأدبيّة. بدونها يمكننا أن نكون حكماء وعادلين وأقوياء وقانعين، ولكن لن تكون لنا عيون ترى حتّى في الظّلام. ولن يكون لنا قلب يحبّ حتّى عندما لا نكون محبوبين، ولن يكون لنا رجاء فنرجو ولو غاب كلّ رجاء.

ما هو الإيمان؟ التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة يشرح لنا أنّ الإيمان هو العمل الذي به يسلِّم الإنسان نفسه بحرّيّة لله (راجع رقم 1814). وبهذا الإيمان كان إبراهيم أبا المؤمنين. عندما وافق على أن يترك أرض أجداده ليتوجّه نحو الأرض التي سيريه الله إياها. قد يُحكَمُ عليه بالجنون: كيف يترك ما هو معلوم من أجل ما هو مجهول، وما هو

موسى أيضًا رجل الإيمان، الذي سمع وقَبِلَ صوت الله حتّى مع الشّكوك الكثيرة التي كانت تهزّه، استمرّ ثابتًا وراسخًا في ايمانه وواثقًا بالله، وحتّى في دفاعه عن شعبه الذي فقد ايمانه مرارًا كثيرة.

ومريم العذراء أيضًا هي المرأة التي آمنت. لمّا استقبلت بشارة الملاك، والتي قد يرفضها الكثيرون لما فيها من الالتزام والمخاطر، أجابت: "أَنا أَمَةُ الرَّبّ، فَلْيَكُنْ لي بِحَسَبِ قَوْلِكَ" (لوقا 1، 38). وبقلب مملوء بإيمان وثقة بالله، انطلقت مريم في طريق لا تعرف وجهته ولا مخاطره.

الإيمان هو الفضيلة التي تصنع المسيحيّ. لأنّه، أن نكون مسيحيّين لا يعني أوّلًا وقبل كلّ شيء أن نقبل ثقافة ما، والقِيَم التي ترافقها، بل أن نقبل علاقة ونحافظ عليها: أنا والله، أنا، شخصيًّا، ووجه يسوع المحبوب. هذه هي العلاقة التي تجعلنا مسيحيّين.

وبالكلام على الإيمان، أتذكّر حادثة من الإنجيل. كان تلاميذ يسوع يعبرون البحيرة وفاجأتهم العاصفة. فكّروا في أنّهم يقدرون أن ينجوا بقوّة سواعدهم، وبخبرتهم، لكن السّفينة بدأت تمتلئ بالماء وأخذهم الرّعب (راجع مرقس 4، 35–41). لم يدركوا أنّ الحلّ كان قريبًا منهم: كان يسوع معهم على متن السّفينة، في وسط العاصفة، وكان نائمًا، يقول الإنجيل. وعندما أيقظوه في النّهاية، وكانوا خائفين وغاضبين أيضًا لأنّه كان يتركهم يهلكون، وبّخهم يسوع قال: "ما لَكم خائفينَ هذا الخَوف؟ أَإِلى الآنَ لا إِيمانَ لَكم؟" (مرقس 4، 40).

هذا هو عدوّ الإيمان الأكبر: ليس الذّكاء، وليس العقل، كما يكرّر البعض بهوس، للأسف، بل عدوّ الإيمان الأكبر هو الخوف. لهذا السّبب، الإيمان هو أوّل عطيّة نقبلها في الحياة المسيحيّة: عطيّة علينا أن نقبلها ونطلبها يوميًا، حتّى تتجدّد فينا. قد تبدو عطيّة صغيرة، لكنّها العطيّة الأساسيّة. عندما حملنا والدَانا إلى جرن المعموديّة، وبعد أن أعلنوا الاسم الذي اختاروه لنا، سألهم الكاهن: "ماذا تطلبون من كنيسة الله؟". فأجابوا: "الإيمان، والمعموديّة!".

للوالِدَين المسيحيّين، اللذين يدركان النّعمة (نعمة المعموديّة والإيمان) التي أعطيت لهما، فإنّ العطيّة التي يجب أن يطلباها من أجل ابنهما هي أيضًا: الإيمان. مع الإيمان يعرف الوالِدَان أنّ ابنهما لن يغرق في الخوف، حتّى في وسط مِحَن الحياة. ويعرفان أيضًا أنّه عندما يموتان، سيبقى له الله الآب في السّماء، الذي لن يتخلّى عنه أبدًا. محبّتنا نحن ضعيفة جدًّا، ومحبّة الله فقط هي التي تنتصر على الموت.

بالتّأكيد، كما قال الرّسول، الإيمان ليس من نصيب جميع النّاس (راجع 2 تسالونيقي 3، 2)، ونحن أيضًا، المؤمنين، نشعر مرارًا أنّ عدد المؤمنين معنا قليل. يسوع يوبّخنا مرارًا، كما عمل مع تلاميذه، لأنّنا "قليلو الإيمان". لكنّ الإيمان هو العطيّة السّعيدة، والفضيلة الوحيدة التي يُسمَح لنا أن نَحسد الآخرين عليها. لأنّ الذي عنده إيمان تسكنه قوّة ليست فقط قوّة بشريّة. في الواقع، الإيمان "يبعث" النّعمة فينا ويفتح العقل على سرّ الله. كما قال يسوع ذات مرّة: "إِذا كانَ لَكم إِيمانٌ بِمِقْدار حَبّةِ خَردَل، قُلْتُم لِهذِهِ التُّوتَة: انقَلِعي وَانغَرسي في البَحر، فَأَطاعَتْكم" (لوقا 17، 6). لذلك نحن أيضًا، مثل التّلاميذ، لنردّد له ونقول: أيّها الرّبّ يسوع، زدنا إيمانًا! (راجع لوقا 17، 5). إنّها صلاة جميلة. شكرًا.

****

مِن إنجيلِ ربّنا يسوعَ المسيحِ للقِدّيس يوحنّا (9، 35-38)

فَسَمِعَ يسوعُ أَنَّهم طَرَدوا [الأعمَى الّذي أعادَ إليهِ بَصَرَهُ]، فلَقِيَه وقالَ له: «أَتُؤمِنُ أنتَ بِابنِ الإنسان؟» أجاب: «ومَن هو، يا ربّ، فأُومِنَ بِه؟» قالَ له يسوع: «قد رَأَيتَه، هو الّذي يُكَلِّمُكَ». فقال: «آمنتُ، يا ربّ» وسَجَدَ له.

كلامُ الرّبّ

****

Speaker:

تَكَلّمَ قَداسَةُ البابا اليَومَ علَى فضيلةِ الإيمانِ في إطار تعليمِهِ في موضوعِ الرّذائِلِ والفضائِلِ، وقال: الإيمانُ هو العملُ الّذي بِهِ يُسَلِّمُ الإنسانُ ذاتَهُ بِحُرّيّةٍ لله. كانَ إبراهيمُ أبا المؤمنين. فقد وَثِقَ باللهِ عندما طَلَبَ مِنهُ أنْ يَترُكَ أرضَ أجدادِهِ ويَتوَجّهَ إلى أرضٍ لا يَعرفُها، وعندما طَلَبَ مِنهُ أنْ يُقَدّمَ ابنَهُ الوحيدَ ذبيحةً. لكنّ اللهَ بعدَ أنْ امتَحَنَ ايمانَهُ، مَنَعَهُ مِن أنْ يُقَدّمَ ابنَهُ ذبيحةً له. وكانَ موسى رجلَ إيمان. كان ثابِتًا وراسِخًا في ايمانِهِ وواثِقًا بالله. وكانت مريمُ العذراء أيضًا مُؤمِنَة، عَمِلَت دائمًا بحسبِ مشيئةِ الله. الإيمانُ هو العَلاقةُ بينَ الإنسانِ والله. وقالَ قداستُهُ: الخوفُ هو عدُو الإيمانِ الأكبر كما حَدَثَ معَ التّلاميذِ عندما هَبّتْ علَيهِم العاصِفَةُ في البُحَيرَة. فخافوا معَ أنّ يسوعَ كانَ مَعَهُم. لِذَلِكَ أوّلُ عَطِيّةٍ يجبُ أنْ يَطلُبَها الوالدانِ لأبنائِهِم هي عَطِيّةُ الإيمان. لأنّ الإيمانَ يُبعِدُ الخوفَ عنهم، حتّى في وسطِ مِحَنِ الحياة، ويُساعِدُهُم أنْ تَزدادَ ثِقَتُهُم بالله الّذي لنْ يَتَخَلّى عنهم أبدًا. الإيمانُ هو العَطِيّةُ السّعيدة، والفضيلةُ الوحيدةُ الّتي يُسمَحُ لنا أنْ نَحسِدَ الآخرينَ عليها. لأنّ الّذي عِندَهُ إيمانٌ تَسكُنُهُ قوّة، فوقَ قوّةِ البشر. لِذَلِكَ لِنَطلُبْ إلى الرّبِّ يسوع، مِثلَ التّلاميذ، بأنْ يَزيدَنا إيمانًا.

****

Santo Padre:

Saluto i fedeli di lingua araba. Il cristiano è chiamato a fidarsi di Dio e ad abbandonarsi a Lui liberamente, perché con Lui siamo nella pace e nella sicurezza. Il Signore vi benedica tutti e vi protegga sempre da ogni male!

****

Speaker:

أُحَيّي المُؤمِنينَ النّاطِقينَ باللغَةِ العربيّة. المَسيحِيٌّ مَدعُوٌّ إلى أنْ يَثِقَ باللهِ وأنْ يُسَلِّمَ نفسَهُ له بِحُرّيّة، لأنّنا مَعَهُ نحن في سلامٍ وأمان. باركَكُم الرّبُّ جَميعًا وحَماكُم دائِمًا مِن كُلّ شَرّ!

****

جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2024

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana